موضوعياً مثل العلوم الطبيعية؛ فالناقد أصبح «يعاين ويشرّح.. يفعل مثل عالم النبات الذي يدرس بنفس الاهتمام شجرة البرتقال وشجرة الصنوبر، وكذلك شجرة الغار وشجرة البتولة: إن هذا العلم هو نفسه نوع من علم النبات التطبيقي لا على النبات، ولكن على المؤلفات الإنسانية»[١١].

وفي مجال الحديث على أثر الفلسفة الوضعية في الأدب وتقريبه من الواقع الموضوعي يجب أن نشير إلى «إميل زولا» الذي دعا في مذهبه الطبيعي إلى التجربة في القصة والرواية والمسرحية، ورأى أن ا لكاتب يجب أن يدرس المجتمع دراسة دقيقة موضوعية، وأن يسلك مسلك العلماء في مخابرهم والأطباء في تجاربهم، على أن تكون دراسة الكاتب هذه متفقة مع النتائج والحقائق العلمية التي توصل العلم إلى اكتشافها والبرهنة على صحتها[١٢].

وقد تأثر زولا خاصة بمنهج علماء الحياة والأطباء، من أمثال «كلود برنار»[١٣] في كتابه «مقدمة في دراسة الطب التجريبي»[١٤].

ولا نريد الآن أن نفصل القول في مذهب زولا، وإنما نرجىء ذلك إلى الفقرات المقبلة.

٢ ـ أما الفلسفة المادية فقد كان لها أيضاً أثر كبير في انتشار الواقعية. وتقوم هذه الفلسفة التي أسسها «ماركس» و«أنجلز» ثم طورها «لينين» فيما بعد، على ما يلي:

I ـ الاعتقاد بأن هناك بنية دنيا وبنية عليا في الحياة الاجتماعية. والبنية الدنيا أو التحتية هي المادة بكل مظاهرها الاقتصادية والإنتاجية، أما البنية العليا أو الفوقية فهي كل ما يمثل الفكر والثقافة والتاريخ والقانون والنظم السياسية والفنون وما إلى ذلك..

وتعد البنية الدنيا في الفلسفة المادية القاعدة الواقعية التي تقوم على أساسها البنية العليا، وتتأثر بها، وتتشكل وفقاً لقوانينها. وعلى سبيل المثال فإن الفلاسفة الماديين يقيسون النظرة إلى الأخلاق بمعيار مادي بحت، ما دام الفكر غير مستقل عن البنية الدنيا، فالأخلاق تفسر عندهم بالظروف الاقتصادية